(١٩)

السلام
نبوءة الروح
وقد زلزلت الأرض والنفوس بالخصام
في أزمة كوبا

حديث الجمعة
٢٧ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ - ٢٦ أكتوبر ١٩٦٢ م

أشر أريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشدا؟!

أرادوا بأنفسهم السوء، ولكن رشدا ما أراد ربهم بهم، ورحمة ما قدر ربهم لهم.

ها هي البشرية بين يوم وليلة يقوم منها من يفعل بها بزعم الخير والمصلحة والصلاح، ما يزعج النفوس، وما تزلزل معه القلوب من خطر الحرب، لا بل من خطر المحو والإبادة.

ظن أهلها أنهم قادرون عليها، بلغت زخرفها وازينت بمن جعلوا زينة لها لوجه الحياة الدنيا منها، وما لهم في وجه الآخرة من خلاق، فما تخلقوا بأخلاق الله، ولا حرصوا على أمانة الله لهم وأمانة الله بهم، وخلافة الله طوق بها أعناقهم، وعليها استأمنهم، وعليها ما استقاموا وقد أمَّنهم، ووجههم وباستقامتهم توجه بهم فرحم من رحم، وقضى أمره فيمن قضى.

الإنسان في الحقيقة، معناها لذاتها وصفاتها مشرقا بالحق، من حقائقها من ورائه محيط، وعليه قائم. وجه عليه غبره، ترهقه قترة، ووجه عليه نضرة الحياة، ونضرة الحق، ينظر للأكبر المحيط الظاهر في كل وجه، ينظر للراعي، للمتجلي، للمشرق، للرب في القلب وللقلب يظهر باللطيف الخبير، يلحق الأبصار فتبصر إحاطته ووجهه في كل شيء، ولا تلحقه الأبصار التي لها لم يلحق، وبه لا تبصر، فهو الشاهد والمشهود عند الشاهد والمشهود، فهو الأكبر والأصغر يوم يعرف الأصغر أنه عين الأكبر، ويوم يقوم الأكبر في عين الأصغر في لا إله إلا الله، فتقوم قيامة لا إله إلا الله فيمن أقامها، فيمن

أقامها لنفسه في نفسه على نفسه، بإرادته في وعيه وحسه. قام لا إله إلا الله، فقامت لا إله إلا الله، وشهدت لا إله إلا الله، وشهد بلا إله إلا الله، وذكَّر وذَكر لا إله إلا الله.

هذا هو الإنسان في سلمه، به يدخل في سلامه، يوم يدخل في السلم مع كله وربه، فيدخل في السلام لنفسه مع نفسه، فيخرج من معاني العدم وخطره، إلى معاني الحياة وبقائها له، ودوامه بها في لا إله إلا الله.

ها هم أهل الأرض يركبون رؤوسهم، بين عشية وضحاها، فيستكبرون ويتنافرون، ويهددون الحياة بالإزالة والمحو كأنهم منشئوها، كأنهم خالقوها، كأنهم مبدعوها، كأنهم مالكوها. وإن ظهروا بذلك فمن كلهم ومبدعهم، الذي يأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون.

أرادوها حربا وأرادها ربها سلاما، فأي الإرادتين وأي المشيئتين تكون له الغلبة؟ أمشيئة الضعفاء من المظاهر؟ أإرادة الجهلاء من المناظر؟ أم مشيئة رب الأرض والسماء؟ إنها مشيئة الله، وقد شاءها سلاما فأنزل السلام على الأرض يحمله عباد السلام من عوالم الروح فلن تكون هناك حرب، مهما انتفخت أوداجهم، وتشدقوا بكبريائهم، منذريها أو محرضيها. فلن تكون هناك حرب ولكنه السلام، ستتغلب دعوة السلام، وروح السلام، واسم السلام، فهو السلام، ومنه السلام، لا إله غيره، ولا معبود سواه، ولا قدرة لناكريه، ولا سلطان لجاحديه، ولا حكمة لغافليه، الأمر له، والشأن له، والتدبير له، إرادته نافذة، والسلام إرادته اليوم.

فلتطمئن القلوب الواجفة، ولتهدأ النفوس الخائفة، ولتتحرر العقول المرتقبة المتوقفة، فلن يكون هناك حرب ولكنه السلام، أرادته السماء، وأراده رب السماء والأرض، فكان السلام إرادته، مهما أرجف المرجفون، ومهما زعم المدعون.

فليطمئن بالله المؤمنون، وبسلامه الموقنون، وبقربه العارفون، إنه روح سرمدي الإنسان، إنه رب حقي الإنسان بالإحسان، إنه إله الإنسان الخلقي بالإيمان. إنه غيب الإنسان الفطري في العوالم والأكوان، إنه شهادة الإنسان الإلهي في العطاء والحرمان.

لا يحيط الإنسان حقا وخلقا بعلمه إلا بما شاء، وشاء برحمته أن يحيط الإنسان بنفسه علما عنه بمعلومه منه، فيحذر نفسه ويحرص عليها، في آن واحد...

يحذر نفسه، يوم يراها تشعر بقطيعتها عن ربها وكلها، جذوة من ناره، وقبسا من نوره، وشيئا لوحدانية أشيائه...

فإذا رجعت، وإذا استيقظت، وإذا من نومها أفاقت، وفي طريق النمو والحياة سارت، وعن ألوهيتها في عزلتها تخلت، وعبوديتها في وصلتها أقامت، عليه عزَّت، لأنها لأناه مثلت وعليه بمعناه حرصت ودلت، فعليه في هذه الحال أن يعزها كما أعزته بربها وأن يحرص عليها وجه ربه له بمعنى العبد لها، رسول ربه عنده، عبدا له وعبدا لها بمعنىً فيه لمعنىً له ومعنىً لها لا يشارك اللانهائي وحدانيته في وصفه، ولا يعدده أحديته في قيامه، بل الذكر المجرد والعبد المعنى له، هو ما هو الإنسان كل الوجود لربه، وكل الشهود لمولاه، وكل المنظور، إنما هو ظاهر إلهه من كنزية غيبه. الإنسان هو الغيب فيه. وتنزيهه عن الشريك هو معنى العبد له والرب منه، بمعناه منه لمعنى العبودية له، في معنى مطلق الوجود لمعناه.

إن العبد في الله، معنىً في الله، معنىً من الله، معنىً لله، معنىً إلى الله، يقوم لنفسه في معناه بمعنى ربه لا شريك له. الوجود له، والقرب والبعد له، والعظمة له، والتواضع والدنو له، والسعة له، والغيب له، والتقيد والظهور له، والإطلاق له، والوحدانية والأحدية له، والمعاني له، والأسماء والمسميات له، والصفات والموصوفات له. وهو معنى العبد والرب فيه له، إنسانا يظهر ما كان الإنسان منه، فكان له في معناه لنفسه، بفرده وجمعه. كل ما عرف إنما هو لربه، سواء في معناه مصنوعا أو صادرا من صنعه. جماع نفسه يشهد أنه لا إله إلا الله، يوم يعرف الله، وما عرف الله، إلا يوم شهده وعرفه في معناه، عبده له وسيدا على الأكوان به في فردوس ذاته وصفاته ومغانيه لمعانيه، لا يبغى عن معناه، ولا عن نفسه ومبناه حولا إلى غير معناه عبدا لله...

عبد الله، الواسع العليم، اللطيف الحكيم، العزيز الخبير، المعنى المجرد لله، في الله، بمعاني العبد لله والذكر له.

خُلقنا لنكون عبادا له، أفي العبودية لله هوان أو ذُل؟! إن الحرية والعظمة والعزة، في معاني العبودية لله، يرتضيها العبد لله، يوم يرتضي الله ربا له ومصدرا لها في كل ما ربّ العبد لنفسه في السموات والأرض دارا له أينما ولى فوجهه منظور هو بمعناه إليه ناظر. أينما ولى فمعشوق طلعته. أينما ولى فجمال شهادته وحق وجوده.

ما أقربه لا يغيب، ما أكرمه لا يفارق، ما أرعاه لا يغفل، ما أحرصه لا ينام. هو الساهر على عباده ينامون، هو المحيي لعباده يموتون، هو العامل في عباده يهدأون، هو المنفعل بعباده يسكنون، هو الراعي لعباده يتوكلون.

سبحان الله أغير الله تعبدون، والله يتوحدكم وما تشعرون! يربُّكم بأرواحكم من روحه، ويسيركم بأشباحكم من ذاته لذاته، هو في الأرض إله لذواتكم بذواتكم، وهو في السماء إله لمعانيكم بمعانيكم.

فأنتم من الله إلى الله تتواجدون، ومن الله إلى الله ترحلون، ومن الله إلى الله تأتون، وتعالى الله عما تصفون. فأي بعث تنتظرون! وأنتم في أول الحشر قمتم وتقومون، والساعة بدأتم برسولكم وبه لها في أنفسكم تبدأون، يوم به تبعثون، ونوره به فيكم تقومون، هو من ذكراها على ما من ظاهر قيامكم تشهدون، وإلى ربه منتهاها لكم تنتظرون، وهو القائم على كل نفس على ما تعلمون، فأنتم في سيرها، على ما تتطورون، يوم تعلمون.

القيامة قائمة، عنها تغمضون، وإنها لقائمة لو تؤمنون، وإنكم لمقيموها يوم يتكشف لكم أنكم بالله تقومون وتحيون، وحجب الغفلة عنكم تسقطون، وذكره في أنفسكم تحفظون، فذكره القديم بالإنسان بجديدكم تجددون، يا حسرة على العباد ما يأتيهم من ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، وهم عنه لاهون، وهم عنه غافلون، وهم له قالون.

سبحان الله، أفغير الله تتواجدون! أفي غير الله تقومون، وبغير الله تفعلون! لِمَ لله لا تركنون، وعنه في أنفسكم لِمَ لا تبحثون؟ عرفتموه ببلاغه أقرب إليكم من حبل الوريد فلِمَ للبلاغ لا تصدقون؟ فأي كعبة إليه تقصدون؟ وأي سماء إليها بالدعاء تتوجهون وفي أنفسكم لا تبصرون ولا تتجهون، وإليها بعد يأس لا ترجعون، وبأبصاركم الي بصائركم فيها لا ترتدون؟

فإلى متى في الغفلة تقومون أيها الغافلون؟ إن الله يناديكم من أعماقكم، وإن الله يناديكم من حولكم، وإن الله يناديكم من بعيد أن استيقظوا لله في أنفسكم أيها النائمون، وكونوا من المؤمنين اليقظين أيها المسلمون، ولا تخدعوا أنفسكم بألفاظ تلوكون، وحركات تأتون، ومشقة من سير في رحلة باسم الحج ترحلون. فما شرع لكم شيء من ذلك إلا لتتأملوا فيه، فتستيقظون وتدركون إلى مراد الله به لكم إن كنتم حقا من المسلمين وصدقا من المؤمنين. كبر مقتا أن تقولوا ما لا تفعلون وأن تفعلوا ما لا تعلمون. فيوم تصدقون برباط الإنسان بالإنسان يربط الله على قلوبكم لتكونوا يوما من المؤمنين.

لا إله إلا الله رب العالمين، رب الغافلين واليقظين، رب المقاربين والمباعدين، رب الناس أجمعين، رب السموات والأراضين، يحتجب عن النفس إلى حين، ويظهر لها يوما ودوما باليقين، يظهر لكل من طلبه في أي عالم في كل وقت وحين.

هو السلام، ومنه السلام، وعليه الاعتماد، وبه القيام. إليه نركن، وإليه نؤوب، في أنفسنا، في قيامنا، في عالمنا، في وقتنا، في آننا، في طورنا، في وحدانيتنا، في معنانا من العبد له، في لا إله إلا الله

نقولها وتقولنا، ونقومها وتقومنا، في محمد رسول الله يقومنا ونقومه، ونشهدنا ونشهده، نشهده لا إله إلا الله، ويشهدنا لا إله إلا الله في شهادتنا محمدا رسول الله وعبدا لله وحق الحق من حقائق الله، وجها لله، وروحا لله، وقبسا من نور الله نراه في أنفسنا قياما في تكاثر نفسه لنا قائمة في نفس الله ثالوث ووحدانية الحياة. لا نفرق بين أحد من رسله، إليه المصير.

اللهم يا من هو معنا، يقومنا ويجمعنا، اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، واحفظ لنا السكينة، واحفظ لأرضنا السلام، اللهم خذ بنواصينا إلى الخير، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارانا، وقومنا حكاما ومحكومين، وارحمنا حكاما ومحكومين، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، وغير ما بقلوبنا من الغل والحقد حكاما ومحكومين، وارزقنا السلم والسلام معك، وأدخلنا في السلم كافة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

١. الصلاة صلة بين العبد وربه:

- المرسل والرسول والمرسل إليه ثالوث وحدانية الله.
- المرسل إنسان الله، والرسول إنسان روح الله، والمرسل إليه إنسان عبد الله ثالوث قيام الحق في الله بالإنسان للإنسان.
- الله وملائكته والرسول وأهله والمؤمنون بهما ثالوث قيام الرحمن في الله بالإنسان للإنسان.
- الملأ الأعلى لله والملأ الأدنى لله وما بينهما من ملأ روح الله ثالوث وحدانية إنسانية الله في الله.
- إن الله وملائكته يصلون على النبي وأهله والذين آمنوا في قائم وحدانية الله.
- إن الله وملائكته يصلون على إنسانية الناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور.
- إن النبي وأهله يصلون على المؤمنين لتنزل بهم السكينة على قلوبهم.
- إن الذين آمنوا يصلون على النبي وأهله تخلقا بأخلاق القائم على كل نفس، ليصلي بهم عليه فيصلهم به أولى بهم من أنفسهم.

٢. الله نور السماوات والأرض:

- النور الذي أنزلناه معه جعلناه نورا نهدي به من نشاء.

- أفمن جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها.
- وهو الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين.
- إنا أعطيناك الكوثر. ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد.
- نأخذ من كل أمة بشهيد ونأتي بك شهيدا على هؤلاء.
- تشرق الأرض بنور ربها ويوضع الكتاب ويؤتى بالنبيين والشهداء.
- كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين. قل أنا أول العابدين.
- إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد.

(من هدي الفقراء)